

لا خير في علم بلا عمل

للأستاذ عريان سعد

يقى لى حدث عام لخريجي الكليات عامة ، وقد أصبحوا علماء في فروع الحياة التي درسوا نواحيها الخاصة كل في كنيته التي اخترها .

ما فائدة هذا العلم ان لم يكن صاحبه عاملا به مستفيدا منه ، يتيه ويستثمره كلما نما بالخبرة والمران ، ما فائدة العلم لصاحبه ان لم يرفعه بين الناس ، وما فائدة الناس من العلم ان لم يكن لصاحبه فضل بعلمه وان لم يساعد هذا العلم على رفع مستوى الحياة في ناحيته الخاصة . عالم الدين ان لم يستثمر علمه في مصاحبة الشعب بالوعظ والارشاد وتوجيه الناس لسبيل الخير يوم تشعب السبل ، ولحل مشاكلهم النفسية والروحية يوم تتعقد هذه المشاكل ، أترأه يكون راضيا عن نفسه يوم لا يعمل شيئا من ذلك ويوم يحيى حياة يشارك فيها من ليس عالما مثله ويشاركه فيها عامة الناس ؟

والعالم بالزراعة ان ترك الزراعة ، أترأه يحس وهو يعيش في المدينة يؤدي عملا آبيا ان اتصل بالزراعة فهو يتصل بها بالمراسلة عن بعد ، أترأه يستريح الى تكديس علمه في صدره لا يفيد منه ولا يفيد الناس .

وكذلك المهندس وخريج التجارة ان هجروا مهنتهم ، فهل لمهنتهم فائدة في علمهم ؟ الجواب على هذا كله أن العلم ان لم يصحبه العمل به فحكمة حكم الكثر المدفون أو المنجم الذي لا يستخرج المعدن الذي في جوفه ، هو موجود من غير شك وله قيمته وله اعتبار ، ولكن فائدته معدومة أو موقوفة الى أن يستعمل ويستثمر .

لقد أوجدنا في البلاد كثرًا علميا عظيما ولكن الخطوة التالية أهم وأعظم وهي استغلال هذا الكثر اثنين ، فان لم يستغل فقد ضاع ما أنفق في ايجاده من جهد ومال هباء مشورا . كانت سياسة التعليم فيما مضى لها هدف واحد وهو تحضير موظفين للحكومة ، موظفين متعلمين علميا عاليا يحلون محل الموظفين القدماء الذين كانت كل مؤهلاتهم أنهم يفكون الخط وذك الخط هذا تعبير له دلالة خطيرة ، فقد كان الخط يعتبر طلاس ، من قرأ الخط فقد ذك الطلاس ، ومن هنا نشأ التعبير ، وظاهر أن نشأة هذا التعبير ترجع الى انتشار الآية أو قل نعميمها .

وكان كل من يتخرج من المدارس مصيره المحتوم أن يعين في الحكومة ، ذلك لأن الوزارات كانت في دور التجديد أو الانشاء ، فمهما تخرج من المدارس من الشبان كان لهم في الوظائف جديدها وقديمها متسع .

ولكن دور الانشاء والتجديد في الحكومة قد انتهى وكبت الآلة الحكومية بل قد تضخمّت فلا تحتاج اليوم وبعد اليوم الا الى (قطع غيار) بدل من يحال الى المعاش ، أو

يموت ، أو يفصل ، وهذا عدد بسيط محدود ، لا يبلغ نسبة مئوية تذكر من خريجي الكليات ربما كانت في مجموعها حوالي ٢٥٪ ، فما مصير الباقيين وهم ثلاثة أراغ شباب مصر المثقف .

لفتة واحدة من الشباب إلى العمل الحر ستجعله يتجه إليه في قوة الشباب وحماسه فلا يمر وقت طويل حتى يعرف الشباب أمامه تلك المجهودات البالية الرثة التي يبذلها في ميدان العمل الحر رجال لا علم لهم ولا ثقافة .

نعم لفتة واحدة من خريجي الجامعة إلى الحياة الحرة إلى هذا الكثر لا أقول اندفين فهو ليس بالندفين إنما وهو في أيد لا تعلم تفاصيله وأسراره وإنما هي متداولة عن غير علم فنستثمره استثماراً ناقصاً تضعبه وتضيع ثمرته فيقتطفها الأجانب والدخلاء فيقتنون ونسحق نحن فقراء .

والدليل قائم نشهده في حيرة ولوعة نشهده في الأجانب الذين نزلوا ولا يزالون ينزلون إلى البلاد لا شيء معهم سوى قليل من الخبرة وكثير من الرغبة والصبر فإذا هم يعيشون عيش البذخ والغنى بعد العوز والحاجة .

أني أوجه نظر الشباب إلى ما حولهم من أبواب رزق يدخلها دونهم من هم أحق منهم بدخولها .

هذه المتاجر التي لا يملكها مصريون يتاجروا أصحابها ويربحون أليست أولى بأن يتولاهم الشباب من المصريين المثقفين وكل عملائها من المصريين ؟

وهذه الصناعات الصغيرة والكبيرة يتولاهم غير المتعلمين ليست حق الشباب المثقفين سبام عنها فيتولاهم غيره فلم لا يد إليها يده اقوية التي يسندها العلم فيخترع خيره .

هذه اللفتة من الشباب المثقف نحو الاقتصاد الوطني ستكون بدء نهضة اقتصادية هي النتيجة الحتمية للنهضة العلمية ، وإلا فالنهضة العلمية كأنها لم تكن ولا خير في علم بلا عمل .

يجب إذن أن يفكر الشباب المثقف وأن يفكر في جد وحاسة حتى لا يضيع عامه ويضيع مجهوده هباء منثوراً .

ولا بد من تعاون الشباب على تحقيق هذا الغرض والشباب مجتمع في اتحاد خريجي الجامعة ولا يعوزه إلا أن يتجه هذا الاتجاه وأن يفكر فيه وأن ينشئ جماعة منه نوجه مجهوده الوجهة الصحيحة .

فهل لي أن أناشد اتحاد الجامعة أن يقوم بهذه الخطوة المباركة وأن يؤلف جمعيات تنشئ نواة لكل عمل في الصناعة والزراعة والتجارة .

إن البلاد على استعداد لتشجيع أي عمل من هذا النوع وإن أقرب الأمثلة على هذا التشجيع ما صادف شركة فوهي للسجائر من نجاح حتى انحلت الشركة بسبب لا يرجع إلى عدم تشجيع الشعب .

وينبغي أن يكون فشل تلك الشركة حافزا للشباب من أصحابها ومن غير أصحابها لا أن يكون ذلك الفشل مشبها للعزائم .

والعلل أروع مثل أسوقه للشباب هو طلعت حرب منشئ بنك مصر ومؤسسته . لقد أنشأ طاعت حرب قبل بنك مصر بنكا سماه البنك المصري انتهى أمره بالفشل . فلم يكن ذلك الفشل إلا حافزا لطلعت حرب ودرسا له فأنشأ بنك مصر واحتاط في إنشائه لأسباب الفشل السابق فنجح البنك وخطا باقتصاد البلاد خطوات ليست في حاجة إلى شرح أو بيان .

ويجب أن يستعد الشباب الذي يقتحم طريق العمل الحر للفشل والنجاح على السواء فكل عمل في الدنيا عرضة لهذا وذلك ويجب أن يكون الفشل في مشروع حافزا لبدء مشروع آخر وأن لا تكون همة الشباب مطلقة على المحاولة الأولى إن نجح فيها استمر وإن فشل تكسر على عقبيه .

إن بدء الاتحاد في هذا الطريق سوف يكون حجر الأساس في صرح اقتصادى حديد بنيته ويتعهد شباب مصر المثقف بدل أن يضع وقتهم في طاب انصاف الجامعيين وتعديل درجاتهم يجب أن ينهض الجامعيون بالبلاد لا أن تنهض البلاد بالجامعيين . يجب أن ينهض العلم بالاقتصاد القومى لا أن ينهض الاقتصاد القومى بالمتعلمين ويساعداهم .

نعم يجب أن يكون المتعلمون هم أهل القوة والثروة فينهضون بالبلاد لا أن يطالبوا الحكومة بأن تنهض بهم .

هذا ليس لوما للجامعيين ولا فنا في عضدهم وإنما هو نداء لهم واستغاثة بقوتهم وعلمهم وتوجيه لهم الى ناحية كلها خير ووطنها رخاء بل هي مصدر الخير والرخاء .

نريد أن يكون الجامعيون عصب الحياة الاقتصادية في البلاد لأن يكونوا حاشية فيها . نريد أن يتاجروا ويزرعوا ويصنعوا فتكون الثروة في أيديهم ويكون المجد لهم لا لغيرهم . هذا نداء الايمان بالشباب المثقف سيجيب هذا النداء من غير شك فقد عود البلاد أن يجيب نداءها للبدل والتضحية فيذول وصحى ولئن أجاب نداء التضحية فهو من غير شك سيجيب النداء إلى الكسب والثراء .

أيها الشباب لقد مضى دور التضحية والألم وجاء دور الكسب والعمل وإذا كان طريق التضحية يحتاج إلى قوة الايمان بحق الوطن فإن العمل والكسب وانثاء أحوج إلى الايمان بحق الوطن فإن كانت التضحية قد أجيب النداء اليها فاني أظن أن النداء إلى الكسب والثروة أحق بأن يجاب .